

السنة والشيعة بين التفاهم والتصادم في العصر البوبي خلال يوم عاشوراء
دراسة تاريخية أنتropolوجية -

Sunnis and Shiites between understanding and collision in Bohai Age
during The day of Ashura – Anthropological historical study-

* محمد قاوي

جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله-الجزائر -

mohamed.gaoui@univ-alger2.dz

تاريخ القبول: 2020/08/25

تاريخ الاستلام: 2020/04/28

ملخص:

يسلط هذا البحث الضوء على مسألة من أهم المسائل التي يختلف حولها السنة والشيعة منذ القدم إلى وقتنا الحالي ففي حين يرى أهل السنة والجماعة بأن الأفعال التي يقوم بها الشيعة من اتخاذ يوم عاشوراء مناسبة دينية لإظهار الحزن و لطم الوجوه والبكاء والنوح على مقتل الحسين بأنما مجرد بدعة في الدين ، يرى الشيعة ذلك واجبا مقدسا يقتضيه الإيمان ولا يتم إلا من دونه.

وعلى هذا إرتأى الباحث دراسة هذا الموضوع دراسة تاريخية أنتropolوجية توصل من خلالها إلى أصل هذه الطقوس التي ظهرت زن البوبيين أثناء حكمهم للعراق المنقسم بين السنة والشيعة و مدى تأثير هذه الطقوس في إثارة الفتن والتعرارات الطائفية و تعزيق المروءة بين السنة والشيعة ، واستغلال الحكم البوبيين الشيعة للاحتجاجات المذهبية في السيطرة على مقدرات الخلافة العباسية السنية .

الكلمات الدالة: سنة، شيعة، عاشوراء، البوبيون، العباسيون.

Abstract:

This research highlights one of the most important cases, which differs from the Sunnis and Shiites, from ancient times to the present time. However, while Sunnis sees that thing the Shiites do as taking the day of Ashura as a religious occasion to show sadness, slap faces, and weeping at the death of Al-Hussein as a heresy in religion .Shiites see this as a sacred duty to complete the faith and it is only completed by this. Based on this, the researcher decided to study this topic as an anthropological historical study, through which he reached the origin of these rituals that emerged

* المؤلف المرسل: محمد قاوي، الايميل: mohamed.gaoui@univ-alger2.dz

during the time of the Bohais, during their rule of Iraq, divided between Sunnis and Shiites and the impact of these rituals in arousing sedition and sectarian strife and deepening the gap between Sunnis and Shiites. The Shiite Bohais exploited sectarian differences in controlling the capabilities of the Sunni Abbasid caliphate
Keywords: Sunnis; Shiites; Ashura; Bohais; Abbasid.

مقدمة:

تعتبر العلاقات بين السنة والشيعة من أعقد الموضوعات التاريخية وأكثرها شائكة ذلك أنه يجب على الباحث التجرد من كونه ينتمي إلى إحدى الطائفتين و يكتب ما يراه صوابا من دون تحيز أو ذاتية وهذا من أصعب ما يمكن أن يختبره الباحث ، و مهما يكن من أمر فقد كان يوم عاشوراء محطة جدل بين أهل السنة الذين رأوه يوما مهولا خسر فيه المسلمين حفيد المصطفى الحسين بن علي رضي الله عنه في موقعة كربلاء ، فكانت خسارتهم فيه لا تعوض و ذلك بدون حزن عليه يتكرر كل عام ، أما الشيعة فقد رأوه مصيبة المصائب التي يجب أن تخالد في نفوسهم جيل بعد جيل فجعلوا منه مناسبة دينية يلطمون فيها أنفسهم ويكون و يظهرون الحزن والندم ، وكثيرا ما حدثت التصادم بين السنة والشيعة في هذا اليوم و أدى ذلك إلى سقوط القتلى بين الفريقين ، وقد استغل هذا التصادم الديني القوى السياسية التي تمثلت في البوبيهيين الحكام الجدد للعراق في الفترة الممتدة من (945-334هـ/1055م) ، فإلى أي مدى ساهم البوبيهيون في التصادم بين السنة والشيعة في يوم عاشوراء ؟ من خلال هذه الورقة البحثية نحاول تسلیط الضوء على :

1-تعريف السنة والشيعة

2-فرق الشيعة وذكر موقعة كربلاء

3-إستيلاء البوبيهيين على الخلافة العباسية

4-استغلال البوبيهيين للطقوس الشيعية في عاشوراء

5-دراسة أنشر بولوجية للطقوس الشيعية في عاشوراء

أولاً: السنة والشيعة

1 تعريف السنة و الشيعة :

1-1 / **تعريف السنة** : لغة : تعني الطريقة والسيرة (ابن منظور، ص 2124) و العادة (الجرجاني، ص 105). اصطلاحا : هي المدい الذي كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم و أصحابه الكرام علما و اعتقادا و قولا و عملا ، وهي السنة التي يجب إتباعها ، ويحمد أهلها و يذم من خالفها ، كما تطلق السنة على سنن العبادات والاعتقادات ، كما تطلق على ما يقابل البدعة وأنه لا قول ولا عمل ولا نية إلا بموافقة السنة (القيرواني، 1980 ، ص 79). والسنة هي كل ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول ، أو فعل ، أو تقرير (مجموعة مؤلفين ، 1992 ، ص 265).

أما مصطلح أهل السنة والجماعة فقد ظهر للدلالة على من كان على طريق السلف الصالح و منهجه من التمسك بالقرآن الكريم والسنة النبوية و الآثار المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم و عن أصحابه رضوان الله تعالى عليهم ، ليتميز عن مذاهب المبتدعة و أهل الأهواء . ولعل أهم الطوائف التي تدرج ضمن أهل السنة والجماعة هي ثلاثة طوائف : الأولى : أهل الحديث ويعتمدون أساسا على الأدلة السمعية وهي الكتاب والسنة والإجماع و من أبرزهم المذاهب الأربع في الإسلام (المالكي والشافعي و الحنفي والحنبي) . الثانية : أهل النظر العقلي والصناعة الفكرية ، وهم الأشاعرة أصحاب أبو الحسن الأشعري ، والماتريدية أصحاب أبو منصور الماتريدي . الثالثة : وهم الصوفية ، أهل الوجود والكشف ومبادئهم مبادئ أهل النظر والحديث في البداية ، والكشف والإلهام في النهاية (العنجري، ص 80) .

2-1 تعريف الشيعة :

لغة : شایعت الرجل على الأمر مشایعة وشیاعا، إذا مأأته عليه و شیعـتـ الرجل على الأمر تشییعا ، إذا أعتـهـ عليه . وفـلانـ من شیـعـةـ فـلـانـ أيـ منـ يـرـىـ رـأـيـهـ وـ الشـیـعـأـيـ الفـرقـ منـ النـاسـ (ابـنـ درـيدـ، 1986ـ ، جـ2ـ ، صـ872ـ). وـالـشـیـعـةـ أـنـصـارـ الرـجـلـ وـ أـتـبـاعـهـ ، وـكـلـ قـوـمـ إـجـتـمـعـواـ عـلـىـ أـمـرـ فـهـمـ شـیـعـةـ . وـالـجـمـاعـةـ شـیـعـ وـ أـشـیـاعـ ، وـالـشـیـعـةـ قـوـمـ يـهـوـونـ عـتـةـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـىـ وـسـلـمـ وـبـوـالـوـنـهـمـ (الأـزـهـرـيـ، 1964ـ ، جـ3ـ ، صـ61ـ). وـبـيـقـالـ شـایـعـهـ أـيـ وـالـاهـ ، وـ أـصـلـ ذـلـكـ مـنـ مـشـایـعـةـ وـهـيـ الـمـتـابـعـةـ وـالـمـطـاوـعـةـ (الـزـيـديـيـ، 1984ـ ، جـ21ـ ، صـ309ـ). أما اصطلاحا : فيعرف التوبيخ الشيعة بأنها " فرقـةـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ المـسـمـونـ بـشـیـعـةـ عـلـيـ فـيـ زـمـانـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـىـ وـسـلـمـ وـ بـعـدـ مـعـرـوـفـوـنـ بـانـقـطـاعـهـمـ إـلـيـ وـالـقـوـلـ بـإـمامـتـهـ "

(النوبختي، 2012 ، ص 51). وهذا التعريف يدعى بأن هناك شيعة في زمان النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا غير صحيح على الإطلاق فلا سند لهذه الدعوى من الكتاب و السنة ، وشواهد التاريخ الصادقة فالله سبحانه يقول (إن الدين عند الله الإسلام) (آل عمران ، 19) لا التشيع ولا غيره ، والصحابة كانوا في عهده صلى الله عليه وسلم - عصبة واحدة و جماعة واحدة ولاءهم للنبي صلى الله عليه وسلم وحده (القفاري، ص 41).

يعرف شيخ الشيعة المفید بأنهم " أتباع أمير المؤمنين علي - صلوات الله عليه - على سبيل الولاء والاعتقاد لإمامته بعد الرسول - صلوات الله عليه وآله - بلا فصل ، ونفي الإمامة عنمن تقدمه في مقام الخلافة ، وجعله في الاعتقاد متبعا لهم غير تابع لأحد منهم على وجه الاقتداء " (المفید، 1996 ، ص 35) . في حين قال ابن حزم في تعريف الشيعة ما يلي : " ومن وافق الشيعة في أن عليا رضي الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحقهم بالإمامية وولده فهو شيعي ، و إن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون ، فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعيا ". ويدرك الشهريستاني (ت 548هـ) بأن الشيعة " هم الذين شارعوا عليا رضي الله عنه على وجه المخصوص ، وقالوا بإمامته نصا ووصية ، إما جلياً و إما خفياً ، و إعتقدوا أن الخلافة لا تخرج من أولاده ، و إن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقىة من عنده ، و إذعوا بأن الإمامة ليست قضية مصلحية تناط بإختيار العامة بل هي قضية أصولية ، وهي ركن الدين ، لا يجوز للرسل عليهم الصلاة والسلام إغفاله وإهماله ، ولا تفویضه إلى العامة وإرساله " (الشهريستاني، 1997، ج 1، ص 169).

و يقول محمد جواد مغنية : " إن الشيعة هم الذين يعتقدون بوجوب النص من النبي على خليفته و أن محمد صلى الله عليه وسلم قد نصّ على الإمام علي " (مغنية، 2000 ، ص 14) . ويدرك Tritton بأن : " إسم الشيعة يعني فريقاً أو حزباً أو أتباعاً ولكن عندما يستخدم بكل ما في الكلمة من معنى فإنه يشير إلى طائفة في الإسلام كونها إستقطاباً لحزب علي . لقد بدأت كحزب سياسي بين العرب ، ونظر أتباع هذا الحزب إلى علي ابن عم وصهر محمد ، وسلالته زعيماً و سريراً ما استقرت هذه الحركة في العراق " (Tritton, 1968 , p 72) . وقد جاء تعريف الشيعة في دائرة المعارف الإسلامية بأنه " الإسم الشامل لمجموعة كبيرة من فرق إسلامية مختلفة أشد الخلاف ترجع نشأتها جميعاً إلى

القول بأن عليا رضي الله عنه هو الخليفة الشرعي بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام " (موجز دائرة المعارف الإسلامية ، 1998 ، ج 20 / ص 6405) .

2 فرق الشيعة وذكر موقعة كربلاء

1-2 / فرق الشيعة : انقسمت الشيعة إلى عدة فرق لعل من أبرزها :

أ- الزيدية : يذكرون الشهريستاني بأنهم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها ، ورفضوا أن يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم ، إلا أنهم جوزوها في كل فاطمي عالم شجاع كريم (الشهريستاني، 1997 ، ج 1 ، ص 179). في حين يعرفهم الشيخ المفيد بأنهم " القائلون بإمامية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والحسن والحسين وزيد بن علي عليهم السلام- و بإمامية كل فاطمي دعا إلى نفسه و هو على ظاهر العدالة ومن أهل العلم والشجاعة و كانت بيته على تحرير السيف للجهاد " (المفيد، 1997 ، ص 39) .

أخذ زيد بن علي يحصل الأصول والفرع حتى يتحلى بالعلم فتلتزم في الأصول لواصل بن عطاء فاقتبس منه الإعتزال ، وكان من مذهبها حواز إمامية المفضول مع قيام الأفضل ، فقال : كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه أفضل الصحابة إلا أن الخلافة فوشت إلى أبي بكر يصلحة رأوها ، وقاعدة دينية رعواها ، من تسكين نائرة الفتنة وتطييب قلوب العامة (الشهريستاني، 1997 ، ج 1 ، ص 180).

وقد قدر لهذه الفرق تأسيس دولة في المغرب الأقصى هي دولة الأدارسة ، ولقيت دعوتها قبولا في بلاد الدليل أيضاً ذلك أنه ارتحل إليهم أحد دعاتهم ويدعى ناصر الأطروش وكان وقتئذ لم يتخلوا بدین الإسلام بعد فدعى الناس إلى الإسلام على مذهب زيد بن علي فدانوا بذلك ونشأوا عليه و بقيت الزيدية في تلك البلاد ظاهرين ، وقد خالفوا بني أعمامهم الموسوية في مسائل الأصول ومالت أكثر الزيدية بعد ذلك عن القول بإمامية المفضول وطعنت في الصحابة طعن الإمامية (الشهريستاني، 1997 ، ج 1 ، ص 183) .

ب- الشيعة الإمامية : فرقة من الشيعة الإمامية ساقوا الإمامة إلى جعفر الصادق ، وزعموا أن الإمام بعده ابنه إسماعيل ، وافترق هؤلاء إلى فريقين : فرقة منتظرية لإسماعيل بن جعفر الصادق ، مع اتفاق أصحاب التواريخ على موت إسماعيل في حياة أبيه ، وفرقة قالت بأن الإمام بعد جعفر سبطه محمد بن إسماعيل بن جعفر حيث انتخب عفرا نصب ابنه إسماعيل للإمامية بعده فلما مات إسماعيل في حياة أبيه علمنا أنه إنما نصب ابنه إسماعيل للدلالة على امامية ابنه محمد بن إسماعيل السابع النام (البغدادي، 1997 ،

ص 68) ، وإنما تم دور السبعة به ، ثم ابتدئ منه بالأئمة المستورين الذي كانوا يسيرون في البلاد سرا و يظهرون الدعاة جهرا . وقالوا : لن تخلو الأرض قط من إمام حي قائم ، إما ظاهر مكشوف ، و إما باطن مستور فإذا كان الإمام ظاهرا حاز أن يكون حجته مستورا ، و إذا كان الإمام مستورا فلا بد أن يكون حجته ودعاته ظاهرين . ومن مذهبهم أن من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية وكذلك من مات ولم يكن في عنقه بيعة إمام مات ميتة جاهلية (الشهرستاني، 1997 ، ج 1، ص 227) .

انقسمت الإسماعيلية إلى قسمين كبيرين في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر المتوفى سنة 487هـ / 1095م فقد كان له ولدان نزار و أحمد ، أكبرها نزار الذي بايعه نفر من الإسماعيلية لقبوا بالنزارية وذلك لأنهم يدینون بإمامة نزار ، ولكن الذي تولى الخلافة أحمد الملقب بالمستعلي ، ونسبت إليه المستعلية ، الباقية إلى اليوم والمعروفة باسم البهرة.

وكان المؤهل للخلافة بنظر بعض الإسماعيليين ولده نزار ويرون أن أباه عهد إليه بولاية العهد. وكان الحسن بن الصباح أبرز المؤيدين لهذا الأمر، بل كان صاحب دعوته مستندا في ذلك للحاجة إلى إمام يميز بين الحق والباطل. ولكن نزار لما فقد الخلافة ، مضى إلى الإسكندرية ، حيث بايعه واليها نصر الدين أفتكتين وأهلهما ، ولكن الوزير الأفضل صاحب الأمر في عاصمة الخلافة المصرية جرد حملة عليهما و قضى عليهما ، مما جعل الحسن بن الصباح يفر من مصر إلى قلعة أملوت ، وأرسل فدائيه فاحضروا ابنا نزار ، ودعا إلى إمامته ، وهكذا تأسست الإسماعيلية النزارية (الأمين، 1986 ، ص 33).

ج- الشيعة الإثناعشرية : هم القائلون بإمامية علي رضي الله عنه بعد النبي صلى الله عليه وسلم نصا ظاهرا وتعينا صادقا من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين ، قالوا : وما كان في الدين والإسلام أمر أهم من تعين الإمام ، حتى تكون مفارقته الدنيا على فرغ قلب من أمر الأمة ، فإنه إنما بعث لرفع الخلاف وتقرير الوفاق ، فلا يجوز أن يفارق الأمة ويتركهم هملا يرى كل واحد منهم رأيا ويسلك كل واحد منهم طريقا لا يوافقه في ذلك غيره ، بل يجب أن يعين شخصا هو الرجوع إليه وينص على واحد هو الموثوق به والمعلم عليه (الشهرستاني، 1997 ، ج 1 ، ص 190).

و كان أول من نقض هذا القول هم الشيعة الإمامية أنفسهم بحيث اختلفوا فيما بينهم ففي حين ساقت الإمامية الإسماعيلية الإمامة إلى إسماعيل وولده ، ساقت الإمامية الإثناعشرية الإمامة من جعفر الصادق إلى إبنه موسى الكاظم ، وزعموا أن الإمام بعده علي بن موسى الرضا ثم محمد الجواد وبعده علي المادي ثم

الحسن العسكري فالمهدي المنتظر الذي هو الإمام الثاني عشر عندهم واسمه محمد بن الحسن العسكري وعلى هذا الأساس تم تلقيهم بالإثناعشرية (البغدادي، 1997 ، ص 71).

ويزعمون بأن محمد بن الحسن العسكري دخل سردايا في دار أبيه بسر من رأى ، ولم يعد بعد ثم اختلفوا في سنه عند غيابه فقيل كانت سنه إذ ذاك أربع سنوات وقيل ثمانى سنوات وكذلك اختلفوا في حكمه فقال بعضهم : إنه كان في هذا السن عالما بما يجب أن يعلمه الإمام وأن طاعته كانت واجبة ، وقال آخرون كان الحكم لعلماء المذهب (زهرة، 1991 ، ص 143). ويعتبر الشيعة الإثناعشرية أكبر فرق الشيعة عددا ، بل إن لفظ الشيعة الإمامية يطلق اليوم عليهم ، وهم على المذهب الجعفري (الأمين، 1986 ، ص 19.).

2- ذكر موقعة كربلاء :

كان عام الجمعة سنة 41 هـ نهاية الخلافة الراشدة و بداية حكم الدولة الأموية ففيه تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما للخلافة للصحابي معاوية بن أبي سفيان (ابن كثير ، ج 11 ، ص 135)، وقد تبني هذا الخليفة سياسة اتسمت بالعدل و الحلم ، و لكنه في آخر حياته أراد أن يستخلف ولده من بعده الأمر الذي رفضه الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، وقد كان الحسين ثائرا في وجه هذا الأمر الذي رأه ظلماً للمسلمين واحتكاراً للسلطة السياسية من طرف الأمويين دون باقي المسلمين ، وإلغاء مبدأ الشورى الذي تبناه الصحابة الكرام في انتخاب الخلفاء ، فناداه أهل الكوفة من العراق بالقدوم عليهم ، ووعدوه بالنصرة و المدد ، فخرج إليهم لكنهم تخلىوا عنه و تركوه وحده في مواجهة العساكر الأموية التي كان على رأسها الوالي الأموي عبيد الله بن زياد ، فتشتب القتال بين الفريقين و قتل الحسين رضي الله عنه مع سبعين من أهل بيته ، وكانت هذه الموقعة في العاشر من محرم سنة 61 للهجرة (الطبرى، ج 5 ، ص 403)، وعلى هذا خلد شيعة الكوفة هذا اليوم و جعلوه يوم بكاء و نوح على الحسين لأنهم تخاذلوا عن نصرته أمام الجيش الأموي ، ومن الأهمية بمكان بأن مقتل حفيد المصطفى صلى الله عليه و سلم قد هز العالم الإسلامي بأسره آنذاك ، فلم تتوقف ثورات المتعاطفين مع آل البيت في أيام الدولة الأموية ، ومن خلال هذه المعركة جاء أهم شعار للشيعة يوم عاشوراء وهو " يا ثرات الحسين " ، وقد بقى هذا الشعار حتى وقتنا الحالي ، فمن خلال هذا ندرك مدى أهمية تأثير الشيعة بما أسفرت عليه هذه المعركة في نفوس الشيعة قاطبة .

ثانياً: البوهيمون والطقوس الشيعية في يوم عاشوراء

1 إستيلاء البوهيمين على الخلافة العباسية واستغلالهم للطقوس الشيعية :

كانت الخلافة العباسية تئن قواد الجيش من الأتراك وهكذا ظلت حتى دخل البوهيمون بغداد سنة 945هـ/334م بعد أن استنجد بهم الخلفاء العباسيون فكانوا كمن استجار من الرمضاء بالنار (حمدي، 1950 ، ص 25). ومع ذلك فقد فضل الخلفاء العباسيون ملوك الدليم من بني بوهيه على سيطرة الأتراك ، أو وقوعهم تحت براثن الخلافة الفاطمية التي كانت في أوج قوتها العسكرية آنذاك ، فلم يخفى على خلفاء بني العباس أن تواجه قوة فتيبة البوهيميين الذي كانوا من الزيدية على خلاف الدولة الفاطمية التي كانت تتبع المذهب الإسماعيلي من شأنها أن تقف مانعا دون تعدد الفاطميين نحو المشرق الإسلامي والحقيقة أن عصر النفوذ التركي كان أخف على الخلفاء من عصر بني بوهيه فقد اتبع البوهيمون في بداية حكمهم سياسة التنكيل والاستخفاف بالخلفاء العباسيين وقد عبر ابن الأثير عن حال الخلافة العباسية في عهد البوهيميين بقوله : " ازداد أمر الخلافة إدبارا ولم يبق لهم من الأمر شيء البتة وقد كانوا يراجعون وأخذون أمرهم فيما يفعل و الحرمة قائمة بعض الشيء فلما كان أيام معز الدولة زال ذلك جميعه بحيث أن الخليفة لم يبق له وزير ، إنما كان له كاتب يدير اخراجاته لا غير ... وكان من اعظم الأسباب في ذلك أن الدليم كانوا يتسيرون و يغولون في التشيع ، و يعتقدون أن العباسيين قد غصبو الخلافة وأخذوها من مستحقيها ، فلم يكن عندهم باعث ديني يحثهم على الطاعة" (الأثير، 2003 ، ج 7 ، ص 208)، ويصف ابن خلدون الخلافة العباسية في العصر البوهي بالعلة فيقول : " وكانت الخلافة قد طرقها الإعلال وغلب عليها المولى والصنائع " (خلدون، 2000 ، ج 4 ، ص 571).

وقد بالغ معز الدين البوهي 356هـ-945م-334هـ في الإستهزء بالخليفة المستكفي عند خلعه فيذكر صاحب الفخرى " أن معز الدولة ركب يوما إلى دار الخلافة وسلم على المستكفي وقبل الأرض بين يديه ... ثم تقدم إلى المستكفي رجلان من الدليم مواطأة معز الدولة فمدا أيديهما نحوه فظن المستكفي أنهما يريدان تقبيل يده ، فمد يده فجذبه و نكساه من السرير ووضعها عمامته في عنقه وسجنه ... ودخل الدليم إلى حرم الخليفة وحمل المستكفي إلى دار معز الدولة ، فاعتقل بها ، وخلع من الخليفة ونحت داره ، وسللت عيناه " (طباطبا، ص 287).

بل لقد وصل معز الدولة البوبيي إلى حد التفكير في اسقاط الخلافة العباسية كلياً و إسناد الخلافة إلى أحد العلوين إلا أن أصحابه أثروا عن ذلك قائلين له : "ليس هذا برأي فإنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أهل الخلافة ، ولو أمرتم بقتله لقتلوه مستحلين دمه ، ومتى أجلست بعض العلوين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته فلو أمرهم بقتلك لفعلوا .." (الأثير، 2003 ، ج 7 ، ص 208) فأعرض عن ذلك في استغلال صارخ للنعرات الطائفية بين السنة والشيعة لصالحة البوبييين السياسية . وبهذا فقد انحرت أحوال الخلفاء الإقتصادية وانحدرت من سيء إلى أسوأ وقد عبر مسکویه عن هذا الوضع في رد الخليفة المطیع على بختيار عز الدولة 367-356هـ حينما طالبه بالمال بمحنة الغزو بأن قال : "الغزو يلزمني إذا كانت الدنيا في يدي وإلي تدبير الأموال والرجال ، وأما الآن وليس لي منها إلا القوت القاصر عن كفائي وهي في أيديكم وأيدي أصحاب الأطراف ، فما يلزمني غزو ولا حج ولا شيء مما ينظر الأئمة فيه ، وإنما لكم مني هذا الإسم الذي يخطب به على منابركم تسكون به رعاياكم فإن أحببتم أن اعتزل اعترضت عن هذا المقدار أيضاً وتركتم لكم الأمر كله (مسکویه، 2003 ، ج 5 ، ص 392) . ومع هذا فقد باع الخليفة المطیع ثيابه و أنقضاض داره من ساج و رصاص وجمع من ذلك أربعمائه درهم و بعث بما إليه (الحسان، 1963 ، ج 4 ، ص 66).

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن العلاقات بين الخلفاء العباسيين والسلطانين البوبييين لم تكن كلها علاقة تصدام و اختلاف بل كانت أيضاً علاقة تقارب و إئتلاف فاتتسامت بالتقدير و الولاء البوبي للخليفة العباسي فنجد البوبييين يعاملون الخلفاء العباسيين معاملة حسنة ولعل ذلك يتجلّى في السلطان البوبي فناخسرو المعروف بلقب عضد الدولة، الذي زوج ابنته للخليفة العباسي الطائع (363-381هـ/974-991م) ولا يخفى للناظر أن الزواج كان زواجاً سياسياً سعى من خلاله عضد الدولة إلى اكتساب حق للأسرة البوبيية في الخلافة عبر ذرية الطائع (الشنقيطي، 2016 ، ص 109). فيروي ابن الأثير " وكان غرض الطائع عضد الدولة أن تلد ابنته ولداً ذكراً فيجعله ولد عهد ف تكون الخلافة في ولد لهم فيه نسب " (الأثير، 2003 ، ج 7 ، ص 390). ومن ثم فليس من الغريب أن عضد الدولة قد همّ بغزو مصر عاصمة الفاطميين الشيعة قصد إلحاقها بالخلافة العباسية السنوية إلا أن المنية حالت دون قيام حملته المنشودة فيروي البغدادي عنه " وكان أبو شجاع فنا خسرو بن بوبي قد تأهب لقصد مصر وانتراعها من أيدي الباطنية ، وكتب على أعلامه بالسواد : (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين

، وصلى الله على محمد خاتم النبيين الطائع لله أمير المؤمنين ادخلوا مصر إن شاء الله آمين (البغدادي، ص 254). وبوفاة عضد الدولة انتهت العلاقة الحسنة بين الخليفة العباسي والسلطان البويري فكان أول عمل قام السلطان البويري الجديد بحاء الدولة هو خلعه للخليفة الطائع و القبض عليه بعد أن دبر مؤامرة ظن الخليفة أنها النهاية وأنه الموت الذي لابد منه فأخذ يقول : إننا لله وإننا إليه راجعون فقد جذبه بعض المتأمرين بحمائـل سيفه وتكاثروا عليه ولفوه طي كساء وحملوه إلى دار الملك وحبسوه فيها كما نسبوا دار الخلافة (سلام، 2008 ، ص 33) .

وتولى بعده الخليفة القادر عام 381هـ/991 وكان هذا بعد نصف قرن تقريباً من سيطرة البويميين الشيعة على الخلافة العباسية في بغداد التي دخلوها حاملين روح العداء للخلفاء العباسيين المخالفين لهم في المذهب ، ومن ثم فقد أسرفوا في الإهانة بهم و خلعمهم و قتل بعضهم مما أضعف سلطة الدولة وقضى على هيبتها ، كما حاولوا نشر المبادئ الشيعية في بغداد فجوبوا برد فعل عنيف تمثل في كثرة الفتنة بين السنة والشيعة فعم القلق والاضطراب ، وتكررت ثورات الجندي من الأتراك والديلم ، وقاموا بأعمال السلب والنهب ، وتسربوا على اللصوص ولم يستطع البويميون السيطرة عليهم والدولة في عنفوان شبابها ، فإذا أضفنا إلى ذلك كله تفكك البيت البويري ، وصراع أفراده على التفозд والسلطان بعد دخولهم بغداد بثلاثين عاماً فقط تتضح الظروف السيئة التي تولى في ظلها القادر وغيره من الخلفاء العباسيين ، هذه الظروف التي تمثلت في استهانة البويميين بالخلفاء استهانة لا حد لها ، وفي الضعف والوهن الذي أصاب البويميين فازدادت أحوال الرعية سوءاً ، وفي الفتنة والمجاعات والأوبئة التي كانت تحصد الناس حصداً ، وفي تزايد نفوذ اللصوص وقطع الطرق حتى أثاروا الرعب والفزع ، وسلبوا الناس أموالهم وسلامتهم (بدوي، 1988 ، ص 61).

أدى تعصب البويميين للتشييع أن أجبروا أهل السنة على الإحتفال بأعياد الشيعة (الأثير، 2003 ، ج 7 ، ص 267) ، ومن ثم فقد كانت تلك السياسة الطائفية التي مارسها البويميون سبباً في قيام كثير من الفتن ببغداد ففي سنة 349هـ قامت الفتنة بين أهل السنة والشيعة وتعطلت على إثرها صلاة الجمعة لمساجد أهل السنة ، ولم تقم الجمعة إلا في مسجد بارثا الشيعي (المحسن، 1963 ، ج 3 ، ص 323). كما أمر معز الدولة سنة 351هـ بلعن الصحابة وكتابة هذا اللعن على المساجد إلا أن أهل السنة قاموا بمحو هذه الكتابة ليلاً (العماد، 1989 ، ج 4 ، ص 268).

ومن مظاهر الاحتفال بيوم عاشوراء خلال العصر البويهي أنه في العاشر من محرم من سنة 352 هـ أمر معز الدولة بأن يحتفل الناس بيوم عاشوراء وهو أكبر عيد عند الشيعة حيث يغلق الناس حواناتهم ويكثر العويل والبكاء و تخج النساء كاشفات الشعور ، مسودات الوجوه وقد شققن ثيابهن و يلطمون خدودهم حزنا على ذكرى مقتل الحسين بن علي يوم كربلاء ففعل الناس ذلك ، ولم يكن لأهل السنة قدرة على المنع منه لكثرة الشيعة ولأن السلطان معهم (الوردي، 1996 ، ج 1 ، ص 280) .

ولم يكتفي المعز البويهي بهذا الحد بل أمر في الثامن عشر ذي الحجة من نفس السنة بإظهار الزينة ببغداد ، وأن تفتح الأسواق بالليل كما في الأعياد ، وأن تضرب الدبابيد والبوقات ، وأن تشعل النيران بأبواب الأماء وعن الشرطة فرحا بعيد الغدير - غدير خم - ويعلق ابن كثير على ذلك بقوله: " فكان وقتا عجينا و يوما مشهودا و بدعة ظاهرة منكرة" (كثير، 1998 ، ج 15 ، ص 261).

وقد أدى هذا إلى توثر العلاقات بين السنة والشيعة خلال الاحتفالات بيوم عاشوراء وزادت من حدتها ، فيبعد أن قرر معز الدين البويهي تخصيص يوم عاشوراء يوم رسميا للاحتفال لم يطل صبر السنة على ذلك كثيرا بعد عام واحد فقط من صدور هذا القرار و في سنة 353 هـ عمل في عاشوراء مثلما عمل في السنة التي سبقتها من تعطيل الأسواق وإقامة النوح ، فلما أضحت النهار وقعت فتنة عظيمة في بغداد بين السنة والشيعة و نهب الناس بعضهم بعضا ووقع بينهم الكثير من الجرحى وعم الإضطراب ، لهذا كان يصدر الأمر في بعض الأحيان بمنع الشيعة من النوح وعمل المأتم مخافة للفتن (الجزوي، 1992 ، ج 14 ، ص 155). كل هذه السياسات الطائفية التي انتهجهها البويهون خلال حجرهم على الخلفاء العباسيين أثارت حفيظة أهل السنة في العراق فلم تقطع ثوراتهم فقد قام أهل السنة سنة 362 هـ بمحاجة أحياء أهل الشيعة وحرقها فيذكر ابن الأثير ما تعرض له أهل الكرخ و هو أكثر أحياء بغداد يسكنه الشيعة بقوله : " احترق الكرخ حريقا عظيما وسبب ذلك أن صاحب المعونة قتل عاميا ثار به العامة و الأئراك ، فأخرج منها مسحوبا و قتل و أحرق ، وفتحت السجون فاخرج من فيها ، فركب الوزير لأنخذ الجناء وأرسل حاجبا له يسمى صافيا في جمع لقتال العامة بالكرخ وكان شديد العصبية للسنوية فألقى النار في عدة أماكن من الكرخ فاحتراق حريقا عظيما وكان عدد من احترق سبعة عشر ألف إنسان و ثلاثة دكاكين وكثير من الدور وثلاثة و ثلاثين مسجدا ومن الأموال مالا يحصى " (الأثير، 2003 ، ج 7 ، ص 336) كما عممت الفوضى في العراق في أواخر عهد الخليفة المطيع (عبدة، 2008 ، ص 62) فلم تكن

الفتن تحصل ببغداد فقط بل تعدد ذلك إلى كل من الكوفة والبصرة وواسط وإن كانت بشكل أقل مما كانت عليه بغداد.

ويصف مسكونيه عصر البوبيهين فيقول " سقطت المية و انبسطت العامة وأغار بعضها على بعض ، و ظهرت الأهواء المختلفة والنيات المتعادية وفشا القتل حتى كان يعدم في كل يوم قتلى لا يعرف قاتلواهم ، وإن عرفوا لا يمكن منهم ، فانقطعت موارد الأموال وخربت النواحي المتباude بخراب دار المملكة ، و ظهر في كل قرية رئيس منها مسؤول عليها وتبااغوا بينهم ، وحصل السلطان صفر اليدين ، والرعاية هالكون والدور خراب والأقوات معدومة ، والجند متهاجون" (مسكونيه، 2003 ، ج 5 ، ص 395). و زيادة على ترسيم الأعياد الشيعية من طرف البوبيهين فقد شجعوا كل عقيدة فاسدة بحججة حبهم لآل البيت فيذكر السيوطى أنه " ظهر في سنة 341هـ قوم من التناصخية فيهم شاب يزعم أن روح علي انتقلت إليه ، وامرأته تزعم أن روح فاطمة انتقلت إليها ، وآخر يدعى أنه جبريل ، فضريوا ، فتعززوا بالانتقام إلى أهل البيت ، فأمر معز الدولة بإطلاقهم لميله إلى أهل البيت ، فكان هذا من أفعاله الملعونة (السيوطى، 2003 ، ص 316). وعلى هذا الأساس فقد أدت سياسة البوبيهين الطائفية إلى بروز فتن عظيمة بين السنة والشيعة ، والتي كانت ميزان القوة يميل ناحية الشيعة الذين كانوا مدحومين من طرف سلاطين بني بويه ، كما تحدى الإشارة إلى أنه في بغداد نفسها كانت الفتن تتشعب غالباً بين حيين كبيرين حي الكرخ الذي كان يمثل غالبية شيعية وبين حي باب البصرة الذي كان يمثل غالبية سنية ، و يورد ابن الجوزي هذه الفتن في كل سنة تقريباً خلال العصر البوبي . ويعزو الشنقيطي ذلك إلى تأرجح ميزان القوى الطائفية بين الشيعة والسنة خلال العصر البوبي ، وعدم رجحانه لصالح طائفة معينة مما أدى إلى إندلاع مواجهات دائمة بين الطرفين في بغداد (الشنقيطي، 2016 ، ص 109).

وقد تحول البوبيهون بعد سيطرتهم على العراق عن مذهبهم الزيدى وتبناوا المذهب الإمامى تماشياً مع التشيع الإمامى العراقي (الشنقيطي، 2016 ، ص 110) ، ولا يعرف الوقت التي تم فيه ذلك إلا أنها قد تكون من المرجح بعد سنة 351هـ التي أمر فيها المعز البوبي بالكتابة على مساجد بغداد ما أورده ابن الأثير قائلاً : " في هذه السنة كتب عمامة الشيعة ببغداد ، بأمر معز الدولة على المساجد ما هذه صورته ، لعن الله معاوية بن أبي سفيان ، ولعن من غصب فاطمة رضي الله عنها فدكا ، ومن منع أن يدفن المحسن عند قبر جده عليه السلام . ومن نفى أبا ذر الغفارى ، ومن أخرج العباس من الشورى ... فلما كان

الليل حكم بعض الناس ، فأراد معز الدولة إعادته ، فأشار عليه الوزير أبو محمد الملهي ، بأن يكتب مكان ما محي ، لعن الله الظالمين لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يذكر أحدا في اللعن إلا معاوية ففعل ذلك " (الأثير، 2003 ، ج 7 ، ص 275) ، وتعتبر هذه الرواية خروجا واضحا من طرف معز الدولة البوبيهي عن القاعدة الأساسية التي يتبناها الشيعة الزيدية القائلة بجواز إماماة المفضول مع وجود الأفضل . وبذلك وجد البوبيهون وسيلة لاكتساب تأييد الشيعة العرب لعصبية لهم في بغداد وال伊拉克، فقاموا بالإعلان عن تنظيم الاحتفالات المناسبة الغدير وعاشوراء، تنظيمًا تحفل به الدولة رسميا ولكن المؤكد أن تشيعهم هذا لم يكن هو المهيمن على فكرهم وسياستهم، بل كان الملك ومصلحة السياسة وراء ذلك ، فقد كانوا قبل هذا يحكمون جزءاً كبيراً من فارس ولم تكن فارس يومها شيعة، فلم يحرضوا على تشيعهم أو إقامة الأعياد والمناسبات الخاصة بالشيعة، فقد كانت فارس مستقرة لهم، بفضل العصبية القومية التي كانت حاضرة لهم هناك - فهم بين قبileتهم من الديلم - وغائبة عنهم في العراق ، فلم يجدوا بدا من توجيه أنظارهم إلى ناحية الشيعة لذبحهم من أجل كسب الشرعية السياسية من منهم .

2 دراسة انتروبولوجية للطقوس الشيعية في عاشوراء :

حدد عالم الإجتماع الفرنسي إميل دوركهايم مجموعة من الخصائص الأساسية لأي ظاهرة من الظواهر الاجتماعية ، بما فيها الظواهر الدينية التي غالبا ما تمارس على شكل طقوس ، أو ما يمكن أن نعتبره ظاهرة إذا ما تميزت بهذه المخصص ، فكان منها الفاعلية و الديمومة ، فتشير الأولى إلى تأثيرها في أكبر قدر ممكن من جوانب الحياة الاجتماعية المختلفة بوضوح باز ، في حين تشير الثانية إلى تمسك الجماعة بها لأنها ترتبط بالملوحة الدينية التي تحتل من الأهمية ما لا يمكن تجاهله أو التغاضي عنه (الأيض، 2017 ، ص 7) وهذا ما امتازت به طقوس عاشوراء فهي كانت تؤثر على جمهور عريض من الشيعة في حين أنها كانت تتكرر في العاشر من كل عام .

وقد ركز الباحثون في انتروبولوجيا الأديان على نقطة جوهرية في الطقوس الدينية وهي أن من المميزات الخاصة التي تعطي للطقوس ميزته أنه يتم وفق ثلاثة نقاط هي ؛ التقييد بحيث يخضع الطقس لقواعد منتظمة متعارف عليها لدى أفراد الجماعة و التكرار حيث يعاد إنماز الطقس في مناسبات تتكرر في أوقات مضبوطة من حياة الجماعة، وحسب تكرار زمني مضبوط. الشحنة الرمزية التي تحملها ممارسة الطقس، مما يعطي الممارسات دفعها وفعاليتها الرمزية الخاصة (الخواشي، 2010 ، ص 17) وكل هذه

النقط تنطق على الطقوس الشيعية في يوم عاشوراء ، فمن ناحية التعديد نجد أن الطقس يخضع فعلاً لقواعد منتظمة و متعارف عليها داخل الإطار الشيعي أما من ناحية التكرار فمرة كل سنة ، في حين نجد الشحنة الرمزية لها دلالة واضحة لما حدث في كربلاء .

لقد كان يوم عاشوراء يوماً خاصاً بالشيعة منذ مقتل الحسين فالمتبوع لأنثروبولوجية هذا اليوم يجده قد بدأ أول الأمر مع حركة التوابين التي قادها المختار بن يوسف الشفقي ورفع شعار " يا لثارات الحسين " و من ثم فقد كان أول من أقام احتفالاً تأبينياً في داره في الكوفة بمناسبة يوم عاشوراء ، وقد أرسل بعض النادبات إلى شوارع الكوفة للندب على الحسين (الحيدري، 1999 ، ص 51) و بمجرور الزمن تحول هذا اليوم إلى تراجميداً خاصة بالشيعة تستذكر فيه مقتل الحسين كل عام ولكنها كان حكراً على الشيعة فقط فلم تتبناه الدولة كيوم رسمي إلا بعد مجيء البوبيهيين الذين استغلوا لصالحهم وجعلوه يوماً رسمياً تقام فيه الإحتفالات والمواكب . و ظلت هذه الطقوس حتى وقتنا الحالي لكنها أخذت في التطور من عصر إلى عصر حتى أصبحت ما نراه يحدث اليوم كل سنة في يوم عاشوراء عند الشيعة . و تظهر التحليلات الانثروبولوجية للطقوس الشيعية في يوم عاشوراء من خلال العزاء الحسيني - وهو مصطلح ظهر في أدبيات العصر الحديث فقط - ، عبر رصد أهم التحليلات الخاصة بهذا اليوم و التي تحولت بحكم التراكم الزمني إلى سلوكيات طقسية يمكن رصدها و تحديدها عموماً (الطائي، 2018) ، وأهم هذه التحليلات تتمثل فيما يلي :

أ- المواكب : تقام في الأيام العشرة الأولى من شهر محرم كل عام في المناطق التي يسكنها الشيعة في العراق ، والمواكب مفردها موكب و تعني هنا جماعات من الناس تشكل مسيرة أو تظاهرة دينية و إجتماعية فولكلورية ، و يجمعهم هدف واحد مشترك هو إظهار الولاء للإمام الحسين وأهل بيته ومواساتهم لهم في ذكرى استشهاده الأليمة بشكل شعبي ، مثلما يعني الموكب المكان الذي يجتمع فيه المختلفون لتحضير شعائرهم وطقوسمهم الدينية ، وفق تقاليد و عادات فولكلورية (الحيدري، 1999 ، ص 103) . كما يعتبر البوبيهيون أول من استحدث المواكب ، أي الخروج إلى الشوارع جماعاً على شكل مسيرات عزاء ، حيث يخرج الناس حاسري الرؤوس ، حفاة الأقدام ، تحيتهم التعزية و المواساة بمساة الحسين و مرددين شعار " يالتراث الحسين " (الشهرستاني، 2003 ، ص 149) . وقد وجدت المواكب قبل العصر البوبي ، إلا أن سلاطين بني بويه أعطوها صبغة رسمية إبان حكمهم للعراق .

ب- طقوس إيزاء الجسد : طقوس إيزاء الجسد من الطقوس الدينية القديمة ، التي يعتقد علماء الانثربولوجيا ان لها دورا في عملية التطهير وما يستتبعها من الوصول الى الخلاص الروحي عن طريق الام فيجدر بالذكر إلى أن هذه المراكب قد رافقتها بعض الطقوس الغربية عن المسلمين و البعيدة كل البعد عن الإسلام ، بل إن الإسلام منها بريء ومن بينها اللطم الصدور والوجوه والظهر ، وقد بدأ اللطم بشكل جماعي في المراكب خلال العصر البوبي ، قبل أن يتطور في العهد الصفوی إلى استخدام الرنجيل أي السلسل (الحسن، 2014 ص 446) ، ويكون الرنجيل من مجموعة من السلال الحديدة الصغيرة المربوطة من الأسفل بقبض خشبي أو حديدي يضرب بها على الظهر و الكتفين ، ولقد قام أحد الباحثين بدراسة أنشر بولوجية ميدانية لهذه الطقوس في مدينة الكاظمية بالعراق عام 1967م فوجد سبعة مراكب يتكون كل واحد منها من ثلاثة إلى أربع مجموعات وتألف كل مجموعة من حوالي مائة شخص تقريبا ، وتعود إلى مراكب الحالات الرئيسية الكبرى لمدينة الكاظمية بالعراق (الحيدري، 1999 ص 112). ويعتبر هذا النوع من المراكب هو الأكثر انتشاراً وطريقة المراكب في العراق على سبيل المثال تسمى بالدائرات حيث ينطلق أصحاب العزاء من تجمعاتهم في الحسينيات متوجهين عادة إلى الأماكن المقدسة كالعتبات المقدسة أو من حسينية إلى حسينية وهم يرددون بعض القصائد أو الأشعار في قالب مختصر، وعادة ما تقرأ أبيات قليلة مشتركة ببعض الأسطار المفولة، وهم يعزون بعضهم البعض. والحسينيات التي تستقبل هذه المراكب أيضاً ترحب بالمراكب المقلبة إليها بأشعار تناسب المصيبة وتناسبهم، هذا والناس يشترون معهم باللطم (الطائي، 2018).

ج- التشايه أو المسرح الحسيني : يقوم المشاركون في طقوس يوم عاشوراء بعمل تمثيلية يجسدون فيها واقعة كربلاء وكيف قتل الحسين بن علي مع أهل بيته ، وعتقد جذور هذه التشايه إلى العصر البوبي أيضا فقد لوحظ في تلك الإحتفالات نماذج أولية لذلك التمثيل ومثلا على ذلك قيام بعض الأطفال والرجال بتمثيل إستجداء الماء ، و تسويق الحياة (أي طلاءها باللون الأسود) الأمر الذي يشير إلى بدايات هذا اللون من الطقوس الشيعية ، وقد حظيت هذه التشايه باهتمام كبير في العهد الصفوی (الحسن، 2014 ص 446)، وتبدأ التشايه غالبا بعد انتهاء مراكب العزاء من أداء مراسيمها حيث تنصب بعض المسارح الشعبية التي بنيت من الخشب فالمسرح بسيط في بناءه وتركيبه مكشوف من الأمام ومن الفوق من غير

كواليس ولadiكورات ولا إضاءة أو ستار غير أن له سلما خشبيا لصعود الممثلين المحتلين الهوا ليبدأوا في تمثيل مقتل الحسين من البداية إلى النهاية في مشهد تراجيدي يحكي يوم كربلاء (الحيدري، 1999 ، ص 122) .

د- قراءة التعزية الحسينية : يشير حمزة الحسن بأن ما يعرف اليوم بـ(الحسينيات - الماتم) وجدت في العهد البويعي ، وإن طريقة الخطابة أو القراءة الحسينية تستمد جذورها من ذلك العهد (الحسن، 2014 ، ص 447)، وبحسب الزمن تطورت القراءات الحسينية فخلال مسيرة العزاء الحسيني تقوم كل مجموعة بتزديد مقطع من مقاطع قصيدة شعبية تنشدها الجموعات في مسيرتها واحدة بعد الأخرى ، وكانت مضامين هذه القصائد في الأغلب مدح و رثاء لمناقب النبي صلى الله عليه وسلم و أهل البيت ، وحينما تصل الميسرة إلى مقصدها يقف الرادود وهو النائح في وسط حلقة دائرة كبيرة على منبر خشبي ملبدا بالسواد منشدا مرتبة شعبية بصوت شجي ، ويلعب الرادود الجيد ذو الصوت الجهوري الشجي دورا مهما في تحريك عواطف المشاركون في اللطم وإثارة أحزاجهم (الحيدري، 1999 ، ص 108) .

ه- قراءة المقتل الحسيني: وهو طقس قريب من قراءة التعزية الحسينية لكنه مختلف عنها قليلا ، فقراءة المقتل الحسيني تعتبر شعيرة من الشعائر الحسينية التي يمارسها الشيعة في يوم العاشر من محرم فقط . اذ تتم القراءة صباحا حتى الظهر كالعادة، وذلك عبر قراءة الروايات الواردة في هذا المجال خاصة قراءة كتاب مقتل الحسين بن علي برواية أبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي – الواقع أن هذا الإنجاري متزوك مقدوح عند علماء الجرح والتعديل من أهل السنة - ، ولكن في الآونة الأخيرة عدلت قراءة هذا الكتاب إلى مقاتل أخرى وملخصة، وربما كان أشهر قراءة المقتل الحسيني في العراق الشيخ عبد الزهرة الكعبي، الذي ظلت طريقتها تقليد في قراءة المقتل الحسيني حتى اليوم (الطائي، 2018) والجدير بالذكر أن هذا الطقس لم يكن له ذكر خلال العصر البويعي .

و- التطهير : هو حرج الرؤوس الحليلة بالقامات بضربات ليست عميقه ، وهي طقوس شعبية تعبر بحسب رأيهم عن المشاركة في إيهاد النفس والجسد مواساة للحسين بن علي الذي قتل مشخنا بالجرح في كربلاء، أما القامات و مفردها قامة فهي سيف مستقيمة ، حادة الجانبين ، تشبه السيف الرومانية القديمة، وتبدأ عملية التطهير فعليا في صبيحة يوم عاشوراء ، ولا يتفق جموع الشيعة على ذلك فمنهم من يعتقدون أن هذه الطقوس بدعة غريبة عن الإسلام ولا تجوز ممارستها ، ويتشكل كل موكب من مواكب التطهير من مجموعة أو عدة مجموعات من المطهرين الذين يتراوح عددهم بين مائة و مائتي شخص،

ويكون بينهم أطفال صغار يرتدون أكفانا بيضاء برفقة أهاليهم وهو حلقو الرؤوس وقد مسحت رؤوسهم بالدماء أو جرحت بجروح خفيفة ، وتعود هذه العادة إلى أن بعض النساء العاقرات اللواتي لا ينجبن أطفالاً أو اللواتي لا ينجبن أولاداً ذكوراً على وجه الخصوص ، ينذرن عند مشهد الحسين إن أنجبن أولاداً ذكوراً يقومون بإرسالهم للمشاركة في مواكب التطبير ولو بشكل رمزي (الأيضاً، 2017 ، ص 193). الواقع أن التطبير لم يكن أثناء العصر البوبي بل جاء بعد ذلك بكثير نتيجة للتطورات التي حصلت للطقوس الشيعية في يوم عاشوراء . ز – المأكولات الطقسية في عاشوراء : اعتاد الشيعة في عاشوراء على تقديم الأطعمة تختلف قيمتها حسب الأوضاع الإقتصادية ، وحسب مساهمة الناس في دفع تكاليفها ، إما تبرعاً و صدقة ، وإما على شكل نذور تقدم في المناسبات ، ولقد اختلفت المأكولات الطقسية في عاشوراء باختلاف عادات و تقاليد كل منطقة ففي العراق مثلاً كان يقدم طبق الأرز مع المرق أما في البحرين فيقدم في عاشوراء عيش الحسين وهو أرز باللحم ومثله في السعودية يقدم الشيعة اللحم مع الأرز ، وفي إيران يقدم الأساس (الآش) وهي أكلة شعبية رخيصة تقوم على البقوليات (الحسن، 2014 ، ص 159)، أما في الأناضول فيتم توزيع المريسة في يوم عاشوراء ، والمريسة هي خليط من الحنطة والباقلاء و الجوز واللوز والزبيب والسكر (الحيدري، 1999 ، ص 150) ومن ثم تحول هذا الامر إلى جزء من فضاء الطقس الانثربولوجي، حيث تمثل الوجبة الطقسية سلوكاً جمعياً معروفاً في ثقافات العالم المختلفة يلعب دوراً مهماً في تمساك الجماعات وخلق هويتها المميزة (الطائي، 2018).

ويعلق أحد الباحثين في طقوس عاشوراء بأن ما يحدث الآن بعضه امتداد لما كان يحدث في العصر البوبي و بعضه الآخر مستورد من ثقافات أخرى ، وبالتالي فطقس الزنجيل و التطبير و التشيابي كلها ممارسات مستوردة من الخارج ، فمنها مسيحية أو يهودية أو هندية فتحى وإن كان جوهر تلك الممارسات للحسين إلا أن شكلها هو طقس دخول العراق عن طريق الترك أو الصفوين ، كما كان للإحتلال الانجليزي دور في نقل التطبير إلى العراق عبر شيعة الهند (الأيضاً، 2017 ، ص 30).

على أن تجمعات إسلامية عديدة تحتفل بعاشوراء وتوزع بعض المأكولات المناسبة ، وإذا كان الإحتفال بيوم عاشوراء يتخذ طابع الحزن لدى الشيعة ، فإنه على العكس من ذلك يتخذ طابع الفرح لدى بعض أهل السنة كما في شمال إفريقيا (تونس والجزائر و المغرب) وتقدم المناسبة أطعمة تقليدية متباينة إلى حد ما ، الواقع أن أهل السنة لا يختلفون فرحاً بمقتل الحسين وإنما يختلفون بيوم عاشوراء لأنه اليوم الذي

نصر الله فيه نبيه موسى عليه السلام ، وعندما وجد النبي صلى الله عليه وسلم اليهود في المدينة يصومونه سألهم عن سبب ذلك فردوا عليه بأنه اليوم الذي نصر الله فيه موسى من فرعون فقرر النبي صلى الله عليه وسلم أن يصوم التاسع والعاشر من محرم مخالفة لليهود ، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال : (قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا يوم صالح ، هذا يوم نجى الله بنى إسرائيل من عدوهم ، فصامه موسى ، قال : فأنا أحق بموسى منكم ، فصامه و أمر بصيامه) ، وعلى هذا الأساس يصوم أهل السنة يوم عاشوراء في جو إحتفالي بحيج (الرشيد، 2012، ص 126). ولا عجب أن مقتل الحسين بن علي في يوم عاشوراء قد أحزن المسلمين قاطبة ، و لكن ثقافة تخليل المزن كل عام ظلت لاصقة بالفكر الشيعي وحده على خلاف أهل السنة الذين اعتبروا مقتله خسارة للأمة دون جعل يوم وفاته حدادا عاما للمسلمين ، وعلى هذا اختلف الشيعة و السنة حول يوم عاشوراء بين حزين مكسور وبين فرح مسرور .

خاتمة :

في خاتمة هذا البحث نستنتج أن القوى السياسية استغلت الموروث الثقافي للطوائف الإسلامية في تثبيت ركائز الحكم وعلى هذا تبني البوبيهون في مجملهم سياسة طائفية جعلت من خاللها الطقوس الشيعية إحدى أهم أولوياتها فرممت يوم عاشوراء يوما رسعا تحتفل به السلطة السياسية بعد أن كان مجرد عيد خاص بالشيعة دون غيرهم من رعایا الخلافة العباسية من السنة وما أكثرهم حينئذ ، وهذا ما أدى إلى صراع حقيقي بين أبناء البلد الواحد و ذلك لما يجري في من مشاحنات واسفتراز بين الفريقين كان كلاهما في غنى عنه .

والواقع أن مثل هذه السياسة الطائفية التي مارسها بنى بويه كان في العراق فقط لتشييت ركائز الحكم لأنهم كانوا من الفرس الشيعة فلما لم تجتمعهم عصبية العرق في بغداد راحوا يبحثون عن عصبية المذهب ، وما يثبت هذا القول أنهم لم يرسموا مثل هذه الأعياد في فارس التي وجدوا فيها عصبية العرق التي لم يجعلوها أثناء حكمهم للعراق . وقد استغل البوبيهون فرصة عاشوراء لحشد أنصارهم وكسب شرعية سياسية لهم ، وعلى هذا لم تكن المواكب والطقوس في عاشوراء دينية فحسب بل سياسية أيضا فقد رد روح الله الخميني زعيم الثورة الإيرانية حينما سأله حول أهمية الطقوس في يوم عاشوراء قائلا بأكمله مكتب سياسي و ديني معا فقد كان يوما لحشد الأنصار واستعراض القوة الشعبية للجماعة الشيعية . أما العالم

الإسلامي في شقه السنوي فقد كان يوم عاشوراء يوم دينيا يفرح به المسلمين لأن الله نصر فيه نبيه موسى و تجد كثير منهم يصومونه اقتداء بالنبي صلی الله عليه وسلم فالذاكرة السنوية ليوم عاشوراء بعيدة كل البعد عن الذاكرة الشيعية . وهذا لا يعكس بأي حال من الأحوال أن أهل السنة قد رضوا بمقتل الحسين بن علي رضي الله عنه وأرضاه ، بل على العكس تماما فأهل السنة على اختلاف مذاهبهم تقر بأفضلية الحسين بن علي على يزيد بن معاوية ، و بأنه قتل مظلوما في سبيل قضية عادلة و هي تطبيق مبدأ الشورى بين المسلمين ، إلا أنه من غير المعقول أيضا أن يظل الحزن قابعا في النفوس لمدة أربعة عشر قرنا من الزمان على حادثة قد ول زمانها وأفل رجاحها ، على عكس الشيعة الذي خلدوا هذا الحدث و خلدو معه ثقافة الحزن على مقتل الحسين التي أخذناها يتوارثونها جيلا بعد جيل ، الأمر الذي أدى إلى تطور هذه المناسبة من حزن بسيط في النفوس إلى ثقافة حزن لها طقوسها الخاصة التي أصبحت تستغل من طرف السياسيين في التعبئة الشعبية و حشد الأنصار . ومن خلال الدراسة الأنثروبولوجية للطقوس الشيعية في يوم عاشوراء نجد أن معظم هذه الطقوس التي تمارس عند الشيعة اليوم يمتد معظمها إلى العصر البوبي ، فهم الذي ابتدعوا هذه الطقوس التي بقيت حتى وقتنا المعاصر .

قائمة المراجع:^{التالي}

1. ابراهيم الحيدري ، تراجيديا كربلاء سوسيولوجيا الخطاب الشيعي، دار الساقى ، لبنان ، 1999
2. ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي ت 597هـ) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 1992 .
3. ابن العماد (أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد ت 1089هـ) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق : محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، لبنان ، 1989 .
4. ابن الوردي (عمر بن المظفر ت 749هـ)، تاريخ ابن الوردي ، دار الكتب العلمية،لبنان ، 1996.
5. ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ت 808هـ/1406م) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والجم والبرير ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تحقيق : خليل شحادة ، دار الفكر ، لبنان ، 2000 .
6. ابن دريد (أبي بكر محمد بن الحسن ت 321 هـ) ، جمهرة اللغة ، تحقيق : رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملائين ، بيروت ، 1986 .

7. ابن طباطبا (محمد بن علي ت 709 هـ) ، الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار صادر ، بيروت ، د ٢٠٠٠ .
8. ابن كثير (أبي الفدا اسماعيل بن عمر ت 774 هـ) ، البداية والنهاية ، تحقيق: عبد الله بن عبد الحسن التركي ، دار هجر ، مصر ، 1998 .
9. أبو المحسن (يوسف ابن تغري بردي ت 874 هـ) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة ، مصر ، 1963 .
10. الأزهري (أبي منصور محمد بن أحمد ت 370 هـ) ، تحذيف اللغة ، تحقيق: عبد الحليم التجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر ، 1964 .
11. البغدادي (عبد القاهر بن طاهر بن محمد ت 429هـ/1037م) ، الفرق بين الفرق ، تعليق: إبراهيم رمضان ، ط ٢ ، دار المعرفة ، لبنان ، 1997 .
12. حمد السنان و فوزي العنجري ، أهل السنة الأشاعرة شهادة علماء الأمة وأدتهم ، دار الضياء للنشر والتوزيع ، د ٢٠٠٣ ، د ٢٠٠٤ .
13. حمزة الحسن ، طقوس التشيع الموية والسياسة ، مؤسسة الانتشار العربي ، لبنان ، 2014 .
14. حورية سلام ، الحياة الاجتماعية في العراق زمن البوبيهين ، دار العالم العربي ، مصر ، 2008 .
15. الزيدى ، تاج العروس ، مادة شاع ، تحقيق: عبد العليم الطحاوى ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون ، الكويت ، 1984 .
16. السيد صالح الشهري ، تاريخ النياحة ، تحقيق: نبيل رضا علون ، مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر ، ايران ، 2003 .
17. السيوطي(جلال الدين عبد الرحمن ت 911 هـ) ، تاريخ الخلفاء ، دار ابن حزم ، لبنان ، 2003 .
18. شريف بخي الأمين ، معجم الفرق الإسلامية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1986 .
19. الشهري (أبي الفتح محمد بن عبد الكريم ت 548 هـ) ، الملل والنحل ، ط ٦ ، تحقيق: أمير علي مهنا وعلى حسن فاعود ، دار المعرفة ، لبنان ، 1997 .
20. صادق الطائي ، عاشوراء أثربولوجيا ، مؤسسة الحوار الإنساني ، لندن ، 2018 .
21. الطبرى (محمد بن جرير ت 310 هـ) ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٢ ، دار المعارف ، مصر ، 1967 .
22. عبد الله بن عبد الرحمن الرشيد ، عاشوراء عند الإمامية الإثنى عشرية وآثارها عرض ونقد ، أطروحة دكتوراه ، كلية الدعوة وأصول الدين ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، 2012 .

23. عبد الحميد أبو الفتح بدوي ، التاريخ السياسي والفكري للمنهوب السنّي في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد ، ط 2، دار الوفاء ، مصر 1988.
 24. القبرواني (أبي محمد عبد الله بن أبي زيد ت 387هـ) الرسالة الفقهية ، تحقيق : الهادي حمّو و محمد أبو الأجفان ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، 1980.
 25. مجموعة مؤلفين ، الموسوعة الفقهية ، دار الصوفة ، الكويت ، 1992 .
 26. محمد أبو زهرة ، ابن تيمية حياته و عصره آراءه و فقهه ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1991
 27. محمد بن المختار الشنقيطي ، أثر الحروب الصليبية على العلاقات السنّية الشيعية ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، لبنان ، 2016 .
 28. محمد جواد مغنية ، الشيعة والحاكمون ، دار مكتبة الملال ، لبنان ، 2000 .
 29. مسکویة (أحمد بن محمد ت 421هـ) ، بخارب الأمم وتعاقب الأمم ، تحقيق : سید کسری حسن ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 2003 .
 30. المفید (محمد بن محمد البغدادی ت 413هـ) ، أوائل المقالات ، دار مهر ، دم ن ، 1996
 31. منصف المخواشي ، الطقوس وجوروت الرموز قراءة في الوظائف والدلالات ضمن مجتمع متتحول ، مجلة إنسانيات ، الجزائر ، العدد 49 ، 2010 .
 32. مهتدی الأیض ، اجتماعية التدين الشعیی - دراسة تأویلية للطقوس العاشریة - ، دار الرافدین ، لبنان ، 2017 .
 33. موجز دائرة المعارف الإسلامية ، مركز الشارقة للإبداع الفكري ، الشارقة ، 1998 .
 34. ناصر بن عبد الله القفاری ، أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنى عشرية عرض ونقد ، أطروحة دكتوراه ، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
 35. النوخنی (الحسن بن موسى ق 3هـ) ، فرق الشيعة ، منشورات الرضا ، لبنان ، 2012 .
- 34 -A.S. Tritton , Islam , Hutchinson University Library , London , 1968